النظريات البطريركية

ليندساي جيرمان



مركز الدراسات الاشتراكية

النظريات البطريركية

ليند ساي جيرمان

مركز الدراسات الاشتراكية

فهرس

لعل النظرية الأكثر صمودا وإنتشارا فى محيط الحركـة النسائية اليوم هى النظرية البطريركية (هامش: البطريـرك هو الأب والنظرية البطريركية هي نظرية السيطرة الذكورية التي ترى أن الرجال هم مصدر الاضـطهاد الواقـع علـى النساء). وتتخذ هذه النظرية أشكالا مختلفة، لكـن الأفكـار الرئيسية التى تستند اليها - والمتعلقة بكون سيطرة الذكر او التحيز للنوع أمرا لا يوجد فحسب كنتاج للرسـمالية ولكنـه منفصل تماما عن نمط الانتاج الرأسمالى ومن ثـم فسـوف يدوم بعد زواله- تحظى بقبول واسع، حتى ان رفض هـذه النظرية برمتها يقابل بدهشة تامة وحقيقية.

وتحظى هذه النظريات بفهم محدود لكيفة تغيـر أشـكال قهر المرأة وطبيعة الأسرة عبر التاريخ. ولا يوجـد لـديها تصور يعتد به حول مدى الإختلاف الواسع بين الأشكال التي يتخذها قهر المرأة من طبقة إلى أخرى. وبدلا من ذلك فـان ما تقدمه لنا هذه النظرية هو ما تعتقد أنـه حقيقـة مطلقـة،

مفادها ان البطريركية سواء اتخذت هذا الشكل أو ذاك هـى سبب قهر النساء.

ويتم تبرير هذا الطرح عبر الإشارة الى أن قهر المـرأة يوجد خارج مجتمعات الغـرب الرأسـمالي، وذلـك فـى المجتمعات السابقة على الرأسمالية اوتلك المسماه بالإشتراكية فى روسيا والصين وكوبا وشرق اوروبا.

وتدعم النظرية البطريركية التصور المتفق عليـه بشـكل واسع فى داخل الحركة النسائية، والقائم على وجوب الفصل بين صراعين، هما صراع الحركة العمالية ضد الرأسـمالية ومن أجل تحقيق الاشتراكية، والصراع الذى تخوضه النساء ضد السيطرة الذكورية. ومن الناحية المنطقية فإن الفصل بين الصراعين هذا يفترض انفصال التطور الإجتماعى للجنسين فى المستقبل، وهو المنطق الذى لا يقبله المؤيدون لنظريـة البطريركية. ولكن إذا كانت البطريركية هى الطريقة التـى يقوم بواسطتها جميع الرجال بإضطهاد جميع النساء، فكيـف يمكن التغلب عليها فى ظل استمرار التفاعل بـين الرجـال والنساء؟

اريد هنا ان اقدم طرحا مختلفـا تمـام الإخـتلاف، وان أرفض مفهوم البطريركية الذى يمكن إعتباره فـى افضـل الأحوال مفهوما مشوشا يشير ببساطة اضطهاد المـراة دون ان يكون قادرا على طرح تفسير لهذا الاضطهاد. كما انه فى اسوء الأحوال يعد مفهوما مثاليا ليس له اساس فـى الواقـع المادى. وأريد أن أبين أن المستفيد من قهر النساء هو رأس المال وليس الرجل. كما أود البحث فى االتغيرات التي حدثت في طبيعة الأسرة وكيفية تأثيرها على تغير تصور النسـاء عن أنفسهن. ولعله من المأمول أن نوضح أن إستمرار قهـر النساء ليس نتاج مؤامرة ذكورية (أو تحـالف بـين العمـال الذكور والطبقة الرأسمالية)، ولكنه نتاج لديمومـة المجتمـع الطبقى فى العالم أكمل. وسوف أقوم بعد ذلك بالمجادلة بـأن الدول المسماة بالإشتراكية ليس لها علاقة فعلية بالاشـتراكية ولا بتحرير المرأة.

وأخيرا أريد أن أبحث فى السؤال الذى دائما مـا يطـرح على الإشتراكيين، والمتعلق استمرار وجود الأسرة الأسـرة البروليتارية (هامش: البروليتاريا هي الطبقة العاملة والاسرة البروليتارية هي الأسـرة العماليـة) رغـم اعتقـاد أنجلـز

والماركسيين الأوائل بأنها سوف تختفى بسبب عدم أستنادها إلى علاقات الملكية، وذلك على عكس الأسرة البرجوازية (هامش: البرجوازية هي الطبقة المستغلة في المجتمع الراسمالي). ونظرا لأنى لا اعتقد أن بقاء الأسرة العمالية لا يرجع إلى السيطرة الذكورية، فأنى أود أن أتناول بدقة ما الذى يؤدى إلى استمرار وجود الأسرة.

الاشكال المختلفة للنظرية

إن الشئ الطريف بالنسبة للنظرية البطريركية هو أنها تستطيع أن تقدم الحل السحري للجميع، ذلك أنها تتغذى على "المشاعر الغامضة" التى تفتتن بها قطاعات من الحركة النسائية أكثر من إعتماد هذه النظرية على تحليل مادى لمسالة اضطاد النساء. ومن ثم فانه حتى البحث عن تعريف للفظ البطريركية يصبح مسألة صعبة نظرا لوجود الكثير جدا من التعريفات التى يمكن الاختيار فيما بينها.

يمكن على سبيل المثال أن تشير البطريركية إلى نوع المجتمعات التى يكون فيها الأب (البطريرك) مسيطرا ليس فحسب على نساء العائلة وانما على الذكور الاصغر سنا

ايضا. وتعتمد مثل هذه المجتمعات على الانتاج الفلاحـى او الحرفى، ويمثل المنزل، على الاقل جزئيا، القاعدة الانتاجيـة لها. وتنبع سلطة البطريرك من حيازته للثروة المنتجة ومن ملكيته للارض. غير أنه فـى معظـم الاحيـان لا يقصـد بالبطريركية تلك المجتمعات التى وجدت فى لحظة تاريخيـة معينة. ذلك أنه حتى منظرى البطريركية الأكثـر تشوشـا، باستطاعتهم أن يدركوا أننا لا نعيش اليوم فى فى مثل هـذا المجتمع الفلاحى، ولذلك فان ما يعنيهم هو القهر الذى تعانى منه المرأة فى الوقت الحالى.

و يمكن القول ان نظريـة البطريركيـة تتخـذ شـكلين اساسيين:

فأولا هناك من يرون البطريركية كمصطلح أيديولوجي أو فكري صرف. فعلى سبيل المثال ترى جولييت ميتشـيل ان هناك حد قاطع بين مجالين مستقلين نقوم بالتعامـل معهمـا، هما النمط الاقتصادى الرأسـمالى، والـنمط الايـديولوجى البطريركي (١). وتطرح كل من سالى ألكسـندر وبـاربرا تـايلور أطروحـات مثيلـة فـى كتابهمـا "دفاعـا عـن البطريركية"(٢).

غير انه يجب وضـع هـذا الفصـل بـين الاقتصـاد والايديولوجيا موضع مساءلة. حيث أنه توجد علـى الـدوام صلة بين الاساس الاقتصاد لمجتمع ما والافكارالتى تنبثق فى هذا المجتمع، ومن ثم لا يمكـن النظـر إليهمـا كمجـالين منفصلين. وكما اوضح ماركس منذ زمن بعيد إنه اذا إعتبرنا أن التاريخ هو مجرد نتاج لهيمنة الأفكار او تعاقبها فانـه يصبح من غير المستطاع وضع اى تفسير حـول تطـور المجتمع.

واذا ما رفضنا التصور الميتافيزيقي لوضع المرأة ، فانه يجب البحث فى الظروف المادية التى تجعل البشر يتصرفون بشكل معين –دون غيره- فى علاقتهم بالعالم ومن ثـم فـي علاقتهم ببعضهم البعض. ومن ثم فأن أساس قهـر المـراة، مثله مثل أساس أى ظاهرة إجتماعية أخرى، يجب أن يدرس فى ضوء هذه الظروف. وبذلك يمكننا أن نفهم الطريقة التى ظهرت بها الإفكار التى تبرر هذا القهر ومغـزى المعركـة التى خاضتها.

إن ما قاله ماركس عـام ١٨٤٥ينطبـق علـى مسـالة قهرالمرأة كإنطباقه على أية ظاهرة اخرى فى مجتمعنا. فقـد

أعتبر ماركس أنه " لكى نصل إلى حقيقة الإنسان، نحـن لا ننطلق من أقواله أو تخيلاته أو تصوراته، كما لا ننطلق من الذى يتم روايته أوتخيلة أو تصوره عنه. وأنما ننطلق مـن الإنسان الحقيقى والفاعل، وعلى أساس الحياه الحقيقية للبشر، لنبين تطور الإنعكاسات والأصداء الأيديولوجية لهذه الحياة، كالأخلاق والدين والغيبيات وكل ما تبقى من الأيديولوجيا وما يقابلها من اشكال مختلفة للوعى. ومن ثم فإننا لم نعد نحـتفظ بتلك الصورة المستقلة لأشكال الوعى، التى ليس لها تـاريخ أو تطور فى حد ذاتها. لكن البشر، عبـر تفـاعلهم المـادى وقيامهم بتطوير الإنتاج المادى، يغيرون، مع التغير الفعلـى لحياتهم، تفكيرهم ومنتجات هذا التفكير. إن الحياة لا تتحـدد بالوعى، وإنما الوعى هو الذى يتحدد بالحياة."(٣)

وعلى النقيض من ذلك، اذا اعتبرنا ان البطريركية هـى نمط فكرى، فان ذلك يعنى ان الافكار تدعم نفسها بنفسها ولا يوجد لها أساس مادي. وآنذاك يصبح النضـال مـن اجـل تحرير المراة منفصلا عن النضال ضد الاستغلال الذى يمكن ان يربط بين المصالح الحياتية لملايين العمال مـن الرجـال والنساء. وبدلا من ذلك يصبح هذا النضـال –كمـا تـدعو

ألكسندر وتايلور— مجرد نضال ثقافى لأجل تغييـر افكـار البشر بمعزل عن تغيير المجتمع. ومن هذا المنطلق يصـبح من السهل أن ندرك كيف تتطور الأفكار الداعية إلى حركـة مستقلة للمرأة. غير انه اذا كانت الافكار تتمتع باستقلالية عن الاستغلال الاقتصادى، فلماذا لا يكون النضـال ضـد قهـر المراة مستقلا أيضا؟

إن إدراك بعض النساء لهذا التنـاقض جعلهـم يحـاولن تطوير نظريات مادية للبطريركية، فيجادلن بأن جميع الرجال يستفيدون من قهر النساء، وانهم قادرين على ذلـك بسـبب الفروق البيولوجية الجوهرية بين الجنسين. وهنا توجد اسس البطريركية. وكما تشير روبرتا هاميلتون: "ان تحليل الحركة النسوية يخاطب الايـديولوجيا البطريركيـة، هـذا الـنمط البطريركى الذى يقف وراء سيطرة الذكر وخضوع الانثـى فى اى مجتمع كان. لكن هـذه الايـديولوجيا تسـتند الـى الاختلافات البيولوجية بين الجنسين، وهو ما يعطيها اساسـا تاريخيا خاصا بها.(٤)

وتطور كريستين ديلفى فى كتابها العدو الاساسى(٥)، هذه الاطروحة المادية إنطلاقا من رؤية نسوية راديكالية. وقامت

هيدى هارتمان بمحاولة مثيلة عبـر اسـتخدامها لمقـولات ماركسية. وقد اردت ان أتناول هذه الاخيـرة بدرجـة مـن التوسع. فإذا كان من الممكن إثبات خطأ هـذا لنـوع مـن المقولات فان محاولة الدمج بين النظرية البطريكيـة وبـين الماركسية تتهاوى بكاملها.

هل الرجال هم من يستغل النساء؟

تعرف هارتمن البطريركية باعتبارهـا "مجموعـة مـن العلاقات الإجتماعية ذات الاساس المادى التى تـربط بـين الرجال، والتى رغم انها تتمتع بهيراركية إلا انهـا تخلـق تضامنا فيما بينهم يمكنهم من السيطرة على النساء." وتمضى قدما لتقول "إن الركيزة المادية التى تعتمد عليها البطريركيـة تتمثل أساسا فى سيطرة الرجال على قوة عمـل النسـاء.... وهذه السيطرة لا ترجع فقط قيـام النسـاء بعمليـة انجـاب الأطفال في داخل الاسرة، وإنما على كل الابنية الإجتماعيـة التى تمكن الرجال من السيطرة على عمل النسـاء... ويـتم الحفاظ على هذة السيطرة عبر حرمان المراة من التحكم فى الموارد الاقتصادية الضرورية التي يتم انتاجها، وكذلك عبر تقييد السلوك الجنسى للنساء."(٧)

فعن طريق حرمان النساء من الحصول على هذه الموارد الاقتصادية، يقيم الرجال تحالفا مـع راس المـال. وتوجـد الدلائل ذلك على فى تطور الراسمالية وفى طريقـة تفاعـل الطبقة العاملة مع مشكلاتها، والتى تتخـذ شـكل المطالبـة بتشريعات حمائية وأجر يكفى العائلة. وتسـتطرد هارتمـان لتشير الى ان نضال العمال فى سبيل هذين المطلبين يهـدف إلى تحقيق المنفعة لهم، وذلك عبر ابقاء النساء فـى المنـزل ليخدموا الرجال وفى الوقت ذاته تتحقق سـيطرة الرجـال عليهن جنسيا.

ولكن هل هذة الطريقة في تفسير الأحداث صحيحة؟

ان تطور الرأسمالية فى بريطانيا أدى إلى تدمير الانتـاج المنزلى ودفع النساء والاطفال مثلهم مثل الرجال إلى نظـام المصنع. وكان ذلك له اثرا مدمرا على اعادة انتاج الطبقـة العاملة. فقد بلغت معدلات وفيات الاطفال حدا مرعبا نظرا – وكما اوضح ماركس فى راس المال— لطول ساعات عمـل النساء خارج المنزل. فقد كان الأطفال يتركون مـع اطفـال اكبر قليلا او مع أفراد يناط هم العناية بالأطفـال، والـذين يهملونهم او يعملون على ابقائهم هادئين بواسـطة مشـروب

الجين او صبغة الافيون. وعندما يكبرهؤلاء الأطفـال إلـى الحد الكافى ليصبحوا قادرين على العمل علـى الآلـة، يـتم دفعهم أيضا للعمل فى المصانع. وكما يبين مـاركس فـان: "البديل الجبار للعمل وللعمال، اى الالة، كانت تتحول بدرجة سريعة الى وسيلة لزيادة اعداد العمال الاجراء، عبر الايقاع بكل أفراد أسرة العامل تحت النفوذ المباشر للراسمالية، دون تفرقة عل اساس من السن او الجنس."

ان هذه الاوضاع التى يصفها ماركس فى "رأس المـال" وأنجلز فى "حالة الطبقة العاملة الانجليزية"، (٨) تبين كيـف كان نظام المصنع مرعبا فى مرحلته المبكرة. إن أثر هـذا النظام الجديد كان تفسخ الاسرة نتيجة إلى تحول كل عضـو فيها الى عامل اجير. ومـن ثـم فقـد وضـع الإسـتغلال الرأسمالي، رغم قسوته، أسس المساواة بين رجـال ونسـاء الطبقة التى لا تملـك، اى البروليتاريـا. فكلاهمـا أصـبح مضطرا للإعتماد على العمل الماجور وفقد الرجال وضـعية المالك الذي يتحكم في الزوجة والأطفال. ولهذا السبب وضع انجلز مثل هذه التفرقة بين الأسـرة البرجوازيـة والأسـرة

البروليتارية. وكان انجلز محقا آنذاك عندما اشار الى وجود اتجاه نحو فناء أسرة الطبقة العاملة.

ولكن ما لم يقدره انجلز التقدير الصحيح هو أثـر نظـام المصنع على عملية إعادة إنتاج النوع نفسها. ففى مانشسـتر التى كانت ربما أكثر مراكز الانتاج المصنعى تقدما، بلغ عدد وفيات الاطفال ٢٦،١٢٦ لكل ١٠٠،٠٠٠ طفل عمرهم اقل من سنة واحدة (٩) وهو ما يعادل ثلاثة أمثال نظيـره فـى بعض المناطق غير الصناعية. ومن ثم فإن العناصر الابعـد نظرا بين الطبقة الحاكمة كان بإسـتطاعتهم أن يـدركوا أن النظام الذي يضمن إمداد الرأسمالية بقوة العمـل المسـبقبليه كان جارى تدميره.

وكان نتيجة لتلك الأوضاع أن ظهرت المطالبة بتشريعات حمائية وبأجر يناسب الأسرة. وقد تناسبت هذه المطالب مـع الحاجات المتغيرة للرأسمالية ولكنها نتجت أيضا جزئيا مـن حرص رجال ونساء الطبقة العاملة الفعلـي علـى تحقيـق مستوى معيشة أفضل وظروف إنجاب أكثر أمنا ومنازل أكثر نظافة.

جادل منظرو البطريركية مثل هارتمـان بـأن الرجـال تحالفوا مع رأس المال لإستبعاد النساء من بعض الوظـائف. وفي حقيقة الأمر، كانت هناك محاولات بهذا الصدد، حيث قام العمال الحرفيون المهرة بإستخدام نقابـاتهم مـن أجـل إستبعاد النساء من بعض الحرف. لكنهم لم يستبعدوا النسـاء فحسب، فلم يكن متاحا لأبناء العمال غير المهـرة والعمـال المهاجرين فرصة للتدريب على هذه الحرف أكثر من تلـك الفرصة المتاحة للنساء. ومن ثم فقد تم إستبعاد أى شخص لم يتتلمذ فى هذه الحرف. إن ما تطرحة هارتمان إذن هو مـد لمفهوم البطريركية لحدود عبثية بهدف إعطاء معنـى لمـا تسميه "تفوق الذكر الأبيض". ولعلنا نتجاوز العبثيـة إذا مـا حاولنا أن نواءم بين مفهوم البطريركية والحقائق التاريخيـة فنقول "تفوق الذكر الأبيض الماهر" الذى لا يمارس التمييـز فقط ضد جميع النساء وجميع المهاجرين ولكن ضد غالبيـة العمال الوطنيين أيضا بسبب كونهم عمال غير مهرة.

والاكثرمن ذلك إن بعض المجالات التـى تـم إسـتبعاد النساء منها لم تكن بها إتحادات نقابيـة أو كانـت لهـا اتحادات ضعيفة، وفى حالة لا تتيح لها إستبعاد اى فـرد. إن

إقرار التشريعات التى تستبعد النساء من بعض الصناعات قد تم بواسطة البرلمانات البرجوازية نتيجة للإعتقاد بأن ظروف العمل فى هذه الصناعات كانت مضرة لعملية خلـق الجيـل القادم من العمال – سواء حدث ذلك بشكل مباشر حيث كانت النساء الحوامل تقمن بأعمال تضر بالجنين، او بشكل غيـر مباشر حيث لم تسمح لهن ساعات العمل بأن يلعبـوا الـدور المناط بهم لتنشئة الاطفال. اذن فلم يكمن الـدافع لاسـتبعاد النساء في "الرجل البطريركى" وانما ارتبط هـذا الاسـتبعاد برؤية الرأسمالية لإحتياجاتها المستقبلية.

ومن ناحية أخرى، فإن النظرية التى تقول أن أجر الأسرة – أي الاجر الذى يعطى للرجل لا لكى يكفيه فحسب وإنمـا يكفى لمعيشة اسرته ايضا- كان نتـاج مـؤامرة رأسـمالية بطريركية لإبقاء النساء خارج العمل، هي نظرية لا تستطيع الصمود. ذلك أن أجر الأسرة أصبح فى مصلحة رأس المال، بمجرد أن سمح تطور قوى الانتاج بخلق القيمة التى تكفـى لتغيطة تكلفة اعادة انتاج الاسرة بكاملها، وإمداد الراسماليين بربح كاف في نفس الوقت. ويصبح إذن بإسـتطاعة نسـاء الطبقة العاملة المتزوجات أن يكرسـن أنفسـهن للأعمـال

المنزلية وتربية الأطفال، مما يضمن حالة إنتعاش وإنتاجيـة افضل لرجال الطبقة العاملة، وظروف صحية وتنشئة أفضل للجيل التالى من العمال. ومع ذلك فلم يشمل أجر الأسرة أبدا الطبقة العاملة بأكملها، وظل هناك عدد متزايد مـن النسـاء المتزوجات اللاتى يعملن باجر – حتى لو كان عدد هـؤلاء النساء أقل نسبيا من الرجال. كما كان على الأبناء الأكبر سنا الخروج للعمل من أجل الأسرة.

لكن أجر الأسرة لم يحقق فائدة مادية للرجال، حيـث لـم يكن يكفي سوى لتغطية الحد الأدنى المطلوب لإعادة إنتـاج الأسرة، أى القدرالمطلوب للحفاظ على حياتها. فلم يسفر هذا الأجر بالتاكيد عن رفع مستوى إستهلاك العامل الذكر، حيث أنه كان بشكل عام أدنى بدرجة كبيرة من الدخل المشـترك للعائلة الذى كان سيتم الحصول عليه فى حالة عمل الزوجـة والاطفال. وفي الحقيقية فأن العامل كان يحصل على دخـل متضمن أجـر العائلـة، إلا أن كافـة الضـغوط القانونيـة والايديولوجية الممكنه قد استخدمت لتشجيع انفاق هذا الدخل لأجل الحفاظ على حياة الأسرة بكاملها لا على متع الرجـل الشخصية.

ومن ثم فإن افتراض أن إرتفاع أجر العامل ليشمل اجـر الاسرة، يحقق ميزة للرجل يعنى عدم فهم نظام الأجـر فـى كليته، كما يعبر عن الاهتمام بشكل هذا النظام لا مضـمونه، وعن التشوش في فهم الطريقة التى تظهر عليها الأشياء فـى الرأسمالية، حيث يبدو صاحب الأجر كما لو كـان السـيد المستهلك الذى له حرية إستخدام الدخل الذى يملكه، بدلا من إدراك أن هذا الدخل يجب إنفاقه فى إعادة انتـاج الأجيـال القادرة على خدمة رأس المال. وفى ظل نظام أجر الأسـرة، تعانى المرأة المتزوجة طالما كانت مستبعدة من المشاركة فى الانتاج الرأسمالى المباشر، ومن ثم فإن مثلها مثل العـاطلين عن العمل، تحرم حتى مـن الظهـور بمظهـر المسـتهلك المتحكم. ويعد ذلك جانبا مهما ممـا نعنيـه عنـد قولنـا أن الزوجات اللاتى بلا عمل مقهورات بينما العمال مسـتغلون. لكن ذلك لا يعنى بأي حال أن الرجال يستفيدون مـن قهـر النساء.

وبالطبع كان هناك بديل للمطالبة بأجرالأسرة يتمثل فـى النضال من أجل تسهيلات كافية لرعاية الأطفـال، وأوقـات مخصصة لانصراف الامهات من العمل، وأجـر متسـاوى.

وتبين هارتمان أنه: " بدلا من النضـال مـن أجـل أجـور متساوية لكل من الرجـال والنسـاء، أراد العمـال الـذكور الحصول على أجر يكفى للعائلة، حيث أرادوا الحفاظ علـى الخدمات التى تقدمها لهم الزوجات داخل المنزل. فقد كان من الممكن فى حالة عدم وجود البطريركية أن تقوم طبقة عاملة موحدة بالتصدى للرأسمالية، لكـن العلاقـات الإجتماعيـة البطريركية قسمت الطبقة العاملة وسـمحت برشـوة احـد طرفيها (الرجال) علىحساب الطرف الاخر (النساء)".(١٠)

لكن هل كان ذلك الفعل هو البديل المطروح؟

فأولا لم يكن العمال الذكور يمثلون طبقة موحدة ومنظمة بوعي كما تدعى هارتمان. فلم يكن غالبيـة العمـال حتـى اعضاء فى النقابات، وظلوا لفتـرة طويلـة عقـب انهيـار التشارتية (هامش: الحركة الميثاقية وهي حركـة إصـلاحية تبنتها الطبقة العاملة الريطانية في النصف الأول من القـرن التاسع عشر وطالبت بتعميم حق الانتخاب والترشيح للرجال وبسرية الاقتراع) عازفين تماما عن الانخراط فى نظـالات ذات طبيعة عامة. كما قبل هـؤلاء العمـال أفكـار وأطـر الرأسمالية ومنها الأيدولوجية السائدة بشأن المرأة. ومن ثـم

يصعب على المرء ان يتوقع قيامهم بالنضال من اجل تنشئة افضل للاطفال طالما أحجموا عن خوض نضالات من أجـل اشياء أخرى.

وثانيا كانت هناك مشكلة بالنسبة لنساء الطبقـة العاملـة اللاتى يعملن، وهى الخطرعلى الحمـل وعلـى معـدل إنجاب الاطفال. أمـا الآن، فالنسـاء فـى أى مـن الـدول الرأسمالية المتقدمة، ترفضن إنجاب العديد من الأطفال – إذا قبلن الإنجاب من الاساس. إن إمكانية حصولنا على موانـع للحمل، حتى لو كانت غير كافية، لم تكن متخيلـة إطلاقـا بالنسبة للأجيال الماضية. فبالنسبة لهؤلاء النساء لم يكن هناك بديل لقضاء الحياة فى انجاب الأطفال، غير المرغوب فـيهم عادة، سوى الإمتناع عن ممارسة العلاقة الجنسية. ومن ثم فبانسبة لرجال ونساء الطقة العاملة، كان إنجاب الاطفال أمرا واقعا. وفى ظل هذه الظروف، عادة ما يرغب كلاهما فـى تحقيق الحماية النساء. ويفسر ذلك –بطريقة افضل من نظرية المؤامرات ذكورية— لماذا كانت النساء تتركن العمل عنـد الزواج، ولماذا كان الرجال يحصلون على أجر الأسرة.

غير أنه لا زالت هناك حقيقة أن هذه الخطوات الخاصة بأجر الأسرة واستبعاد النساء من بعض الأعمال قد وجهـت لطمة لفرص النساء فى التغلب على وضـعهن الإجتمـاعى المتدنى. فقد قدمت الرأسمالية الشروط الكامنة للمساواة بـين النساء والرجال، لكن هذه المساواة لم تكن لتتحقق فعليا داخل هذا النظام. فلصالح اعادة انتاج قوة العمل، تم عزل النسـاء فى المنزل وبالتالي تفتيت وحدتهن. وكان يعتقد أن وظيفتهن تتمثل فى خدمة أزواجهن وأسرهن، وبالتالي فقد حرموا من الاستقلال المالى. إلا ان هذا "النموذج المثالى" لم يعبر ابـدا عن واقع حال كل نساء الطبقة العاملة، حيث أن العديد منهن ظللن منخرطات فى العمل المأجور بشـكل دائـم. غيـر ان الافكار السائدة التى كانت تروج لمفهوم الاسـرة باعتبـارة مفهوما مقدسا، كانت تسعى لإسقاط نموذج العائلة البرجوازية على الطبقة العاملة من أجل ضمان اعادة انتاج النوع. و كان أن قبل رجال ونساء الطبقة العاملة هـذا النمـوذج للاسـرة باعتبارة النموذج "الطبيعى"، حتى لو لم يكن متوافقا مع واقع حياتهم الشخصية.

وحتى فى يومنا هذا ، حيث أدى تطور الرأسـمالية إلـى دفع غالبية النساء الى سوق العمل، فان الصـورة التقليديـة للمراة لم تختف، وان كانت قد تآكلت بدرجة حادة. إن سلوك المجتمع تجاه المراة وكذلك سلوك النساء نحو انفسـهن قـد تطور بدرجة هائلة تحت التاثيرالمزدوج لسـيطرتهن علـى الانجاب بسبب ظهور موانع الحمل، ودخولهن سوق العمل. ان الطريقة التى اثر بها تغير الاوضاع المادية علـى تغيـر السلوك تجاة المراة تعد فى حد ذاتها ردا على المقولة التـى تعتبر قهر المرأة نتاجا لسيطرة أيديولوجيا ذكورية غامضـة غير قابلة للتغير.

تجادل هارتمان بأن الرجال يستفيدون من عمـل النسـاء داخل المنزل وتتساءل: "من يستفيد من عمل النساء؟ بالتاكيد الرأسمالية، ولكن بالتاكيد ايضا الرجال، الذين بصفتهم أزواج وآباء، يتلقون خدمات شخصية من النساء داخل المنـزل. إن مضمون وحجم هذه الخدمات قد يتغير بحسـب الطبقـة أو الجماعة الإثنية او العنصرية، لكن حقيقة أنهم يستفيدون مـن عمل النساء لا تتغير. فالرجال يتمتعون بمستوى حياة أعلـى

مقارنة بالنساء فيما يتعلق بالإستهلاك الترفيهى وأوقات الفراغ والخدمات الشخصية".

أنه لمن الحقيقى بالطبع أن النساء يتحملن الآن الجانب الأعظم من عبء رعاية الاطفال والاعمال المنزلية. ولكن هل ينتج من ذلك أن الرجال يستفيدون من عمل النساء؟ إن تقسيم العمل يعنى قبل كل شئ أن الرجال يقومون بأعمال مختلفة فى المصنع عن تلك التى يقومون بها فى المنزل . ولكن القول بان عمل اللحام هو افضل او أسوء العمل المنزلى يعنى النظر إلى كل من نوعى العمل بطريقة ذاتية تماما وغير قابلة للقياس. وينطبق ذلك أيضا على وقت الفراغ، حيث يحظى الرجال بأوقات فراغ محددة من حيث الساعات، يميلون إلى قضائها فى أنشطة إجتماعية (مثل كرة القدم)، بنفس درجة نزوعهم إلى الحصول على ساعات عمل أكثر تحديدا. ولكن لا يمكن القول ببساطة ان هذه الساعات اكثر من تلك المتاحة للنساء.

إن العمل المنزلى، وفقا لتعريفة، هو عمل لا يخضع لايقاع مفروض من قبل الاستغلال الرأسمالى، فى المصنع أو مكان العمل. فهو لا يتضمن القيام بمجهود مكثف لعدد محدد

من الساعات يتبعها فترة من الاستجمام تسمح بـالعودة إلـى القيام بهذا المجهود المكثف المحدد زمنيا. ولذلك فأنه لا توجد طريقة لقياس وقت العمل المنزلى ومقارنته بوقت العمل فـى نظام المصنع. إن كل ما يمكن قولة بتيقن هو أن كـل مـن عمل المصنع والعمل المنزلى عملان مضنيان يؤدى أحدهما إلى امراض ناتجة عن العمل – وهو ما يفسر لماذا تظهـر أعراض أمراض مثل التهاب الشعب الهوائية لدى الرجـال بدرجة اكبر منها لدى النساء وكذلك إصابات العمل المفجعة والارهاق الحاد والموت المبكر عادة— بينما يؤدى الآخـر إلى تحطيم الروح المعنوية والعزلة وعدم الإحساس بـالأمن والعديد من العلل التى عادة ما يتجاهلها الأطباء. إن الضرر الهائل الذى تعانيه النساء ليس إستغلال الرجال لهم بدرجـة ما، ولكن عزلتهن وبعدهن عن المشاركة فى العمل الجماعى والتى يمكن أن تعطيهن الثقة لأجل النضال ضد النظام.

وفى الحقيقة فإن مشكلة المنـافع التـى يحصـل عليهـا الرجال، يمكن ان تظهر فقط بشكل حقيقى فى حالة الخروج عن تقسيم العمل النمطى بين "الذكر العامل" و"الأنثـى ربـة المنزل". فإزاء الاندفاع المتزايد للنساء المتزوجات إلى سوق

العمل، تجد الكثير منهن أن عليهن القيام بتسيير أمور المنزل عقب إنتهاء يوم العمل المأجور الكامل. ومن ثم يكون لديهن وقت للاستجمام أقل بكثير من ذلك المتاح لأزواجهن، حيث يجب عليهن الجمع بين الاعمال المنزلية والعمل خارج المنزل. غير انه حتى فى هذه الحالات فمن المشكوك فيه أن تزيد منافع الأزواج عن كونها منافع هامشية. إن الجوانب المضنية والأكثر إرهاقا فى العمل المنزلى هى تلك المتعلقة برعاية الاطفال، حيث ان "العالة" الكبير على عمل النساء المنزلى هو الطفل. غير أنه ليس الزوج هو المستفيد من وجود الطفل، وإنما رأس المال الذى يضمن وجود مصدر مستقبلى لفائض القيمة. إن مجرد معاناة النساء من عبء مزدوج يتمثل فى فائض القيمة المباشر الذى ينتجونه فى المصنع أو المكتب، وإعادة إنتاج مصادر مستقبلية لفائض القيمة فى المنزل لا يعني أن العبء المفرد الواقع على الرجل هو أقل من ذلك الواقع على المرأة.

وعلى ذلك أريد أن أقول أن الرجال لا يستفيدون من عمل المراة فى الأسرة –حيث يحصل النظام الارسمالى على الفائدة بأكملها— وأنه ليس حقيقيا أن الرجال ورأس المال

يتآمرون لأجل منع النسـاء مـن المشـاركة فـى النـاتج الاقتصادى.

أننا نعيش فى حقبة يزيد خلالها عدد النساء العاملات فى الدول الأكثر تقدما عن مثيلة فى أى فترة تاريخية سابقة، كما تختلف الوظائف التى يقمن بها عن تلـك التـى يقـوم بهـا الرجال. وبهذا المعنى يظل تقسيم العمل على أساس النـوع باقيا كما كان من قبل. كما تكون أجور الرجال والنساء بعيدة عن التساوي نتيجة لأن النساء عادة ما يقطعن فترات العمـل بالإنجاب –وان كان ذلك يحدث بمعدل أدنى بكثير مما كـان علية الحال منذ جيلين. ولا يزال متوقعا منهن أن يلعبن الدور الأكبر فى العناية بالاطفال إلى جانب العمل.

غير أن طبيعة الوظائف التى تشغلها النساء يرتبط كثيـرا بالتطور الراسمالى فى الحقبة التى شهدت دخول النساء قـوة العمل – وبخاصة التوسع فى قطاع الخدمات— أكثـر مـن كونه مرتبطا بوجود مؤامرة ذكورية تريد حصر النساء فـي مهن بعينها. ويصبح ذلك واضحا بشكل خاص إذا ما قارنـا وظائف النساء بتلك التى يشغلها المهاجرون من الجنسـين. ذلك أن عمل كلاهما يتركز فـى أعمـال النظافـة والنقـل

والمطاعم والصناعات الخفيفية وصناعات الأغذيـة— مـع وجود إستثناءات قليلة مثل العمل فى المسابك. ويعـود هـذا التشابة بين المهن التي يشغلها كل من المهاجرين والنساء إلى أن كلاهما قد دخلا قوة العمل فى أوقات متقاربة. ومـن ثـم فإن عزل النساء في وظائف بعينها لا علاقة له بالدور الذى يقمن به فى المنزل. وأحيانا ما يقال أن وظائف النساء تمثل إنعكاسا للأمومة والعمل المنزلى، ولكـن صـناعة تعليـب الخضروات لا يمكن بأية حال إعتبارها إمتدادا لنوع العمـل الذى تقوم به النساء فى المنزل. ونفس الشئ بالنسبة لوظيفة صرافة البنك وكاتبة الملفات وأمينة الخزينة وعاملة التليفون. وفى المكاتب تلعب النخبة من السكرتيرات المميـزات فقـط دور الزوجة البديلة للمديرين، أما غالبية النساء العاملات فى وظائف كتابية لا يلعبن هذا الدور بالتأكيد.

وحتى الكساد الحالى لم يؤد إلى طـرد النسـاء بالجملـة خارج قوة العمل. وتزعم هارتمان أن "من أعراض سـيطرة الرجال ان تعطل النساء لم ينظر إليه أبدا بإعتباره مشـكلة. وفى الثلاثينيات، تم التعامل مع البطالة واسعة النطاق عبـر

إستبعاد النساء من كافة أنواع الوظائف، وتم أتباع نظام أجر واحد للعائلة، وكانت الوظيفة للرجل."(١٢).

إن ما تقوله هارتمان هو ببساطة تصور خـاطئ، حيـث تثبت أحدى الدراسات حول العمل فى الولايات المتحـدة إن النساء دخلن قوة العمل خلال عقد الثلاثينيات بصورة أكبـر منها فى أى وقت سابق فى التاريخ الامريكى، وذلـك رغـم الخطاب الذى كان يتبناه آنذاك بعض الرجال ومن ضـمنهم بيروقراطيو إتحادات العمال مثل صامويل كومبرس، والذى كان انعكاسا لتاثير الازمة. ونفس الشئ ينطبق علـى فتـرة الكساد العظيم فى المانيا. فبالرغم من تأييد جميع الأحزاب – باستثناء الحزب الشـيوعى— تـرك النسـاء المتزوجـات لوظائفهن، فإن نسبة مشاركة النساء فى قوة العمل إرتفعـت فى الفترة من ١٩٢٨ إلى ١٩٣٥ من ٣٥،٣% الى ٣٧,٣%. وكان ذلك بسبب تزايد عمل النساء المتزوجات. وحينما كان يلقى بالرجال خارج الصناعات التقليدية، كان النساء يجبـرن على الدخول إلى سوق العمل وفقا لأى أجر.

ويمكننا أن نرى اليوم نزوعا مشـابها. ولايعنـى ذلـك بالطبع إن رأس المال قد أصبح منحازا للمراة ضد الرجـل،

ولكنه يعنى أن رأس المال سوف يستخدم الأيديولوجيا التى ترى أن مكان المراة هـو المنـزل لأجـل فـرض أجـور منخفضة، وإضعاف إتحادات العمال ووضع ظروف أسـوأ للعمل. إن السؤال الذى يجـب أن تجيـب عليـه النظريـة البطريركية هو أنه إذا كان رأس المال والرجال قد تحالفـا بالفعل فلماذا لم يتم القذف بالنساء خارج سوق العمل وإحلال العمال المتعطلين فى قطاعات المنـاجم والصـلب والسـفن محلهن؟

هل طبيعة الاسرة لاتتغير؟

تشترك جميع النظريات البطريركية فـى الإعتقـاد بـأن سيطرة الذكر ظلت على حالها بغض النظر عـن التغيـرات الاخرى فى المجتمع. إذا فالبطريركية تدوم ويـتم النضـال ضدها بمعزل عن النضال ضد الرأسمالية. وفى النظريـات البطريركية البيولوجية، تعزى المشـكلة إلـى الإختلافـات الجسمانية بين الرجال والنساء. ومن الناحية المنطقية يكـون الحل في هذه الحالة هو إستئصال او إزالة هذه المخلوقـات. غير أن هذه المقولات من السهل ضحدها، وهي لا تحظى إلا بتأثير محدود فى بريطانيا على أية حال.

أما المقولات الاكثر نفوذا فهى من النوع الـذى يطرحـه أشخاص مثل هارتمان، التى ترى الرأسمالية والبطريركيـة بمثابة قوتين مختلفتين تتحالفان ضد النساء. وتقـول لنـا ان "الماركسيين يبخسون بتأثير القوى الإجتماعية البطريركيـة الموجودة من قبل والتى يجب على الرأسمالية الناهضـة ان تتحداها وتتكيف معها فى نفس الوقت." غير أن هذا الـرأي يفترض أن الأسرة بشكلها القديم السابق علـى الرأسـمالية إنتقلت إلى الرأسمالية دون أن يلحق بها أى تغير. وهكذا فان هذه المقولة تعد جزءا من مقولتها الأكثر عمومية بشأن وجود شكلين للانتاج فى المجتمع الطبقى همـا العمـل والاسـرة، ويتضمن أحدهما نمطا للانتاج والآخر نمطا لإعـادة انتـاج النوع أو التناسل. وتقوم هارتمان بتبرير هذا الزعم عبر نقل جزء من مقدمة أنجلز الاولى فى أصـل العائلـة والملكيـة الخاصة والدولة(١٦): "ان العنصر الحاسم فى التاريخ هـو الانتاج وإعادة إنتاج الحياة المباشرة من جانـب، أي انتـاج وسـائل الوجـود كالمأكـل والملـبس والمـأوى والأدوات الضرورية للقيام بهذا الإنتاج، ومن جانب آخر إنتاج البشر انفسهم، أي إنتشار النوع. ويتحدد التنظيم الإجتماعى الـذى

يعيش فى ظله الناس خلال حقبة تاريخية بعينها طبقا لهـذين النوعين من الإنتاج."

ترى هارتمان أن النمطين المذكورين للانتاج متساويا في الأهمية، منتقد بذلك الماركسيين الذين يشيرون إلى الانتـاج الاقتصادى بإعتباره نمط الإنتاج الوحيد. وتجادل بأنه :"يبدو أنه ليس هناك إرتباطا ضروريا بين التغيرات فى أحد جانبى الإنتاج والتغيرات فى الجانب الاخـر."(١٧) بمعنـى آخـر "يمكن ان يتغير كل من نمطى الإنتاج بشـكل مسـتقل عـن الآخر، فيمكن محو الرأسمالية مع بقاء السيطرة الذكورية كما هى دون تغير.

إلا أن الماركسسبن دائما ما تبنوا مقولات مختلفة كثيـرا عن ذلك. فقد أستطرد أنجلز فى مقدمته لـ "أصـل العائلـة والملكية الخاصة والدولة" قائلا أنه مع تطـور المجتمعـات الطبقية، لا تصبح القضية هى تعايش نمطى الانتاج، وإنمـا يظهر "مجتمع تكون فية العلاقات العائليـة خاضـعة كليـة لعلاقات الملكية".(١٨) فمع تطور الراسمالية كنظام عالمى، أي ككلية، فانها تغاف وتغير كافة الأبنية التي كانت موجودة في العصر السابق على الرأسمالية، بما فيها العائلة.

إن طبيعة الأسرة تتغير،ولا يمكن أن يكون الأمر خـلاف ذلك. فلم يكن فى إستطاعة الاسرة أن تحافظ علـى بقائهـا خلال الإنتقال من الاقطاع إلى الرأسـمالية، دون أن تشـهد تغيرات جوهرية. ذلك أن هذا الانتقال لم يكن يعبر عن تغير سلمي، وإنما كان بمثابة إضطراب ثورى فى حيـاة النـاس، يتضمن تدميرا لطرق الحياة القديمة، ولكافة الأشكال العتيقـة للإنتاج المنزلى، وللوضع التى كانت المراة فى ظله تعتمـد فى معاشها على الرجل، وإستبدال هذه الأوضـاع بالعمـل الماجور المعمم (هامش: أى المفروض على الرجال والنساء دون قصره على أيهما). وبالطبع فان الأسرة تدوم على مـر التاريخ وذلك بمعنى بقاء العمليات البيولوجيـة كمـا هـى وإستمرار إعادة انتاج الحياة. لكن علاقات الإنتاج الإجتماعية تتغير بشكل تام، حيث تخلق الطبقة الحاكمة نوعا جديدا مـن الأسرة لخدمة مصالحها، ومن ثم فلا يمكن أن توجد الأسـرة الجديدة التى خلقتها الرأسمالية بشكل مستقل عن نمط الإنتاج الرأسمالى.

وإذا إقترحنا شيئا مختلفا عن ذلك نكون قـد أنكرنـا أن الأوضاع المادية تستطيع تغيير الأفكار والأبنية الإجتماعية.

وترتكب شيلا روبوثام نفس الخطأ حينما تقـول أن الأسـرة الرأسمالية تحوى عناصر من أشـكال الإنتـاج الإقطـاعي، وبذلك فهى "نمـط داخـل الـنمط" (١٩). غيـر أن بقايـا المجتمعات ما قبل الرأسمالية التى تدوم خلال الرأسـمالية لا تظل على الإطلاق كما كانت فى السابق. فعلى سبيل المثال، تعد الملكية أحدى بقايا المجتمع الإقطاعى ولكنها قد تغيـرت كلية بواسطة الرأسمالية الى الحد الذى لم يعد لوجودها علاقة بدورها السابق. ونفس الأمر بالنسبة للعائلة التى قد تبدو كما هى –وإن ذلك مشكوكا فيه— ولكن دورها ووظائفها وأسسها قد شهدت تحولا على يد رأس المال. إن إعادة انتاج النـوع عن طريق الاسرة ليس نمطا منعزلا، ولكنه جزءا من البناء الفوقى للرأسمالية. إن الغاء النظام الرأسمالى –أى الإطاحـة الثورية بالمجتمع – تعنى أن نظام إعادة انتاج النوع، والذى يعتمد على الأسرة، لا يمكن ان يظل على حاله دون تغيير.

تزعم هارتمان أن "مجتمعا ما يمكن أن يشهد على سـبيل المثال تحولا من الرأسمالية إلى الإشتراكية بينما يظل مجتمعا أبويا." (٢٠) لكن ذلك غير ممكن، لأنه مع إلغـاء المجتمـع الطبقى يتم تحطيم الأساس المادى للأسرة الرأسمالية، عبـر

إضطلاع المجتمع بمهام بتربيـة الأطفـال وأداء الاعمـال المنزلية. ولا يعنى ذلك أنه لن تكون هنـاك مشـاكل غـداة حدوث الثورة، فالمشكلات التى واجهـت الطبقـة العاملـة الروسية عندما حاولت أن تنجز هذه الأعمال كانت جسـيمة. كانت للثورة والحرب الأهلية آثارا كبيرة على حياة الرجـال والنساء. وفى النهاية ضاعت الثورة نتيجـة فشـل الطبقـة العاملة فى البلدان الرأسمالية المتقدمة فـى إتبـاع الطريـق الروسى، وهذا بدوره أدى إلى إنتكاسات قاسية فيمـا يتعلـق بوضع المرأة. ولكن فى السنوات الأولى للثـورة، وبفضـل الإطاحة بالمجتمع القديم، شهدت النساء بصيصا من فـرص الأجر المتساوى ومشاركة المجتمع فـى إنجـاز الأعمـال المنزلية والمزيد من الحرية الجنسية.

أن القهر الواضح للنساء والذي كان موجودا فى البلـدان المسماة بالإشتراكية، لم يكن دليلا على السيطرة الذكوريـة، وإنما كان دليلا على عدم وجود الإشتراكية. فليس مسـتغربا أن مجتمعا مبنيا على التراكم، لا يسمح بالقيام بـأى إنفـاق لأجل إضطلاع المجتمع بعملية رعاية الأطفال. فبـدلا مـن ذلك، كان العبء الواقع على النساء ثقيلا كمثيلة فى الغرب.

كانت دور الحضانة متاحة بالفعل فى روسيا بدرجة واسعة، إلا أن النموذج الأكثر إنتشارا للعناية بالأطفال كان الجـدة أو بعض الأشخاص المناط بهم القيام بهذا العمل. ولم يكن ذلـك بالطبع يتطلب إستثمارا من جانب الطبقـة الرأسـمالية. إن القبول نظريا بأن هذه البلدان هى بدرجة ما أفضل من الغرب الرأسمالي هو الذى أدى إلى قبول النظريـات البطريركيـة: فاذا كان من الواضح أن المرأة غير مساوية للرجل فى هـذه البلدان المسماة بالاشتراكية، فلا بد أن يكون الخطـأ خطـأ الرجل لا النظام الإقتصادى.

ولا تعد الأسرة، التى تتم خلالها إعادة أنتـاج النـوع، بمثابة مسلمة تاريخية، ولكنها تتغير مع تطور قوى الانتاج. وليس الأمر كذلك فحسب، بل أنه حتى من فترة إلى أخـرى فى الرأسمالية لم تظل الأسرة ثابتة.

لقد تم تدمير أسرة ما قبل الرأسمالية مع صعود علاقات الإنتاج الرأسمالية التى خلقت طبقة مـن العمـال الأجـراء الأحرار غير المالكين. إن هذا الوضع خلـق علـى الأقـل إمكانية لتحقيق المساواة فى العلاقة بين المرأة والرجل. ولعل هذا هو ما أشار إليه أنجلز فى كتاباته المثيره للجدل فى هذا

الموضوع. ففى فترة الرأسمالية المبكرة، وقبل سيادة نظـام المصنع، كان نظام العمل يتضمن أن يعمل الجنسين كمنتجين مشتركين. ولعله من الخطأ إعتبار هذه الفترة نموذجية، لأنه من الواضح أنها لم تكن عصرا ذهبيا بأى معنى لكنها بالفعل منحت المرأة حرية نسبية مقارنة بالمستويات السـابقة مـن السيطرة الأقتصادية والجنسية للرجل. لكـن ظهـور نظـام المصنع لم يكن يعنى فقط أن العامل الأجير الفرد، رجلا كان أم أمراة، لم يعد مسيطرا على عمله، ولكن ايضاً أصبح نظام إعادة أنتاج النوع بأكمله معرضا للخطر كما بين بوضوح كل من ماركس وأنجلز(٢٢).

ومن هنا كان تحسن مستويات المعيشة وظهور التشريعات الحمائية ونظام أجر الاسرة، وهى كلهـا تطـورات تلبـى مصلحة الرأسمالية. ولكن من الحقيقى أيضا أن الطبقة العاملة من الجنسين رحبت بابتعاد المراة عن العمل فى المصانع.

ومنذ الحرب العالمية الثانية، تغيرت الأسرة بقوة أيضـا، حيث أدى تزايد مشاركة المرأة فى قوة العمل، مع تصـاعد قدرتهن على السيطرة على أجسادهن عبر وسائل منع الحمل وإقرار الإجهاض قانونا، إلى نمـو عـدد مـن السـلوكيات

الجديدة. فلم يضمحل الزواج، ولكن تزايدت عـدد حـالات الطلاق بشكل عنيف. ذلك أن الرجال والنساء لـم يرفضـوا مؤسسة الزواج لكنهم لم يعدوا يشعرون بضرورة أن تكـون هذه المؤسة أبدية. كما أن سيطرة المرأة علـى الإنجـاب، ودرجة الإستقلال الإقتصادى التى أصبحت تتمتع بها يعنـى أن أحد الخيارات المطروحة هو تغيير شـريك الحيـاة، أو إختيار عدم وجود شريك على الإطلاق – لاحظ تزايد حجـم العائلات التى ترعاها الأم غير المتزوجة).(٢٣)

ان معدل إنجاب الأطفال فى البلدان الرأسمالية المتقدمة – بما فيها أوروبا الشرقية— قد هبط بالفعل بشكل حـاد، ممـا يدل على أنه أينما يتاح للمراة الاختيار، فأنها لا تنفق حياتها فى إنجاب الأطفال. وتمثل الهجرة أيضا ملمحا من ملامـح الرأسمالية. فمع إندثار الصناعات القديمة، يكون على العمال فى الرأسماليات المتقدمة ترك أسرهم طلبا للعمل. ومع توسع صناعات بعينها، يؤتى بالعمال من جنوب أوروبا وآسيا إلى معاقل الصناعة لتلبية الطلب على قـوة العمـل الرخيصـة والراضخة. ويكون لمثل هذه الحركة آثارا ضـخمة علـى الأفكار التقليدية بما فيها تلك المتعلقة بالأسرة. إلا أن الأسرة

تظل مكانا خانق وأحمق يتم فية تعلم وتـدريس الســلوكيات والأدوار، ويجرى خلالها نقل القيم والتحيزات عبر الأجيال. وتتغير الأسرة لتناسب حاجة الرأسمالية لكنهــا لا تختفــى، حيث يتطلب الأمر إنقلابا خارج الاسرة حتى يتم البدء فــى تحقق ذلك.

ما الذى يحافظ على إستمرار الأسرة؟

إذن فما الذى يحافظ على بقاء الأسرة اليوم؟ إذا لم نوافق على أن المصلحة المادية للرجال هي التى تقوم بذلك فمــاذا إذن؟

يعتمد وجود الأسرة على عاملين أساسيين، رغم مساهمة عديد من العوامل المساعدة أيضا. فيجب النظــر اولا الــى المصالح الاقتصادية لرأس المال فى الحفــاظ علــى بقــاء الأسرة. إن الدور الذى تلعبه الأسرة فى إعادة إنتاج القــوى العاملة والأجيال التالية من العمال قد تم توضيحه بإستفاضــة (٢٤). ويسمح كل من وجود أجر الأسرة –حتى إذا كان هذا الأجر يكفي بالكاد عملية إعادة إنتاج الأسرة ويحتــاج إلــى الدعم عن طريق المنافع التى تقدمها الدولــة وعبــر عمــل

الزوجة لبعض الوقت— ووجود العمل المنزلى المجانى، بأن تكون تكلفة إعادة إنتاج النوع رخيصة للغاية.

وإذا كان النظام الراسمالي قـادرا علـى تحقيـق نمـوا متواصلا خلال عديد من العقود، فأنه يفترض إمكانية إحلال آليات أخرى محل الوظيفـة الاقتصـادية للأسـرة. وكمـا أوضحت إيرين بروجيل بشكل قاطع فانه قد يكـون ممكنـا بالنسبة للنظام أن يرفع من من فائض القيمة الكلى إذا كـان القيام بمعظم أو كل العمل المنزلى والاعتناء بالاطفال يجري بواسطةالعمل المأجور المنظم على أساس رأسمالى، على ان يتم تحرير جميع النساء من هذه الأعمال، لأجل إنتاج القيمـة وفائض القيمة لمصلحة رأس المـال (٢٥). بيـد أن تنظـيم عملية إعادة إنتاج الأسرة بهـذه الطريقـة يتضـمن إنفـاق مصروفات هائلة تستثمر فى وضع تسهيلات جديدة للعنايـة بالأطفال، وهو ما يستحيل القيام به فى ظل المرحلة الراهنة من أزمة النظام الرأسمالي – خاصة وأن الجيش الإحتيـاطى من العاطلين أصبح وفيرا بما يكفى لتغطية حاجة النظام مـن قوة العمل المتوقعة.

ومن ثم فلازالت مسئولية إنجاب الأطفال ورعايتهم تترك للنساء، وهو ما يفسر لماذا تستمر الأسرة ويدوم قهر النساء. إن دور النساء كأمهات وراعيات للاطفال يتحكم فـى كـل حياتهن. وأن قيامهن بالعمل لبعض الوقت، بدلا من العمـل المنتظم، هو نتاج لدورهن كأمهات، كمـا أن الأجـر غيـر المتساوى والمنخفض بشكل عام الذى تتلقاه النساء هو بسبب عدم النظر إليهن كعوائل. فمنذ أن تولد المرإة فى المجتمـع الرأسمالي يكون من المفترض أنها ستصـبح مختلفـة عـن الرجل، حيث أن قمة الإنجاز بالنسـبة لهـا هـو الأمومـة والزواج.

ومن الناحية النظرية، لا يوجد مبرر لوجوب إضـطلاع المرأة برعاية الأطفال والقيام بالجزء الاكبـر مـن العمـل المنزلى لمجرد أنها تقوم بالانجاب. ولكن فى عالم يضـطلع فيه الأفراد –وليس المجتمع — بتكاليف عملية إعادة إنتـاج النوع، ويوجد به تقسيم جامد على أساس الجنس، ولا يكـون معدلات الأجر للوظائف التى تشغلها المراة مساويا لمعـدل أجر الرجل، لا يكون هناك بديل لهذا الوضع. حيث يصـبح

من المنطقى بالنسبة للمرأة أن تكون هى الطرف الذى يبقـى فى المنزل.

إن الحديث عن المشاركة فى العمل المنزلـى، وقبـول الرجال القيام بدور "ربة المنزل" فى مثل هذا العالم يكـون ممكنا فقط بالنسبة لأقلية ضئيلة من الناس، وذلك حينما توجد لدى المراة مهنة أو حرفة تمكنها من تحقيق كسب يساوى أو يزيد عما يحققه الرجل. وحتى آنذاك يكـون مـن الصـعب التغلب على الأفكار التى يتبناها المجتمع والقائمة على عـدم مساواة المرأة للرجل. وبالنسبة لجماهير العمال تكون مثـل هذه المشاركة فى الادوار بمثابة الأحلام التي لا اساس لهـا من الواقع.

وتستخدم الاعتبارات الأيديولوجية فى تعزيـز الأهميـة المادية التى تمثلها الأسرة بالنسبة للرأسمالية. لا أقصد بـذلك أن الراسماليين هم متعصبين ذكوريين يريدون الإبقاء علـى النساء فى منزلة أدنى من الرجال –رغم انهم عادة ما يكونوا كذلك. ولكننى أعنى أن الأسـرة تقـدم بعـض الـدعامات الأيديولوجية التى تحافظ على تماسك النظـام مـع بعضـه البعض.

ففى كل مرحلة من تطور النظام الرأسمالى كان على هذا النظام أن ينشئ أبنية تربطه بأولئك الذين يقوم باسـتغلالهم. وتستمر هذه الأبنية فى الوجود فى المراحـل اللاحقـة مـن تطور النظام حينما تتطلب حركته الاقتصادية أبنية جديـدة. وتندمج الأسرة مع شبكة معقدة من هذه الأبنية التى تسـتفيد من اقتناع ربات البيوت –المعزولين فى المنزل والمقطوعى الصلة عن التجمعات الأكبر التـى تتشـكل حـول الإنتـاج الصناعي— بالأفكار الجامدة الخاصـة بوضـعيتهن فـى المجتمع. فنتيجة لاعتماد النساء على الأزواج فى المعيشـة، يمكن إقناعهن بأن أى نوع من التغير الاجتماعى هو بمثابـة تهديد لأسرهن وأمنهن. ومرة أخرى، تعتمد هذه الأبنية التى يكون العامل فى ظلها قلق على سلامة زوجته وأطفاله ونفسه أيضا، على تردد العامل قبل المشاركة فى أى إضـراب أو احتلال مصنعي أو تمرد . ويستخدم شـعار "الـدفاع عـن الأسرة" في تعبئة العمال للدفاع على الوضع الراهن. ومن ثم فحتى عندما لا تصبح الرأسمالية فى حاجة مباشرة لـبعض العناصر المتعلقة بالأبنية المرتبطة بالأسرة والتى تعود الـى الماضى (فمثلا لم تعد تحتاج الى تشريع منع الاجهاض الان)

فإنها تتخلى عن هذه العناصر فقط تحت ضغوط هائلة، وذلك نظرا لأنها لاتتحمل تدمير أبنية تساعد على ربـط العمـال بالمجتمع الحالي حتى لو كانت هذه الأبنية هامشية بالنسـبة لمصالحها المحورية فى تلك اللحظة.

وبفرض حدوث توسع إقتصادى غير محدود لفترة طويلة من الزمن، فإن النظام يمكنه تطوير أبنية أيديولوجية جديـدة لتحل محل تلك الخاصة بالحفاظ على بقاء الأسـرة بشـكلها الحالى. غير أن تلك ليست هى حالة النظام الذى يتمسك اليوم بأية وسائل للدعم يجدها فى متناوله –وذلك يفسر عدم قـدرة جنوب ايطاليا وأيرلندا الشمالية على الإسـتغناء عـن أبنيـة عتيقة مثل نظام المافيـا أو الأورنـج. وبالتـالى فالنظـام الرأسمالى يكون أقل إستعدادا لدراسـة التخلـى عـن بنـاء كالأسرة التى لازالت تمده بخدمات إقتصادية معينة.

وتحاول النظرية الماركسية للأسرة تفسير إستمرار قهـر النساء فى سياق دورهن فى إنجاب ورعاية الاطفال. وتزعم هارتمان أن الماركسية تغفل أهمية اختلاف النوع، أو بمعنى آخر أن الماركسية يمكن أن تفسر لماذا يوجـد النـاس فـى أوضاع بعينها دون أن تستطيع تفسير لماذا هؤلاء الناس هن

نساء. لكن الحقيقة هي أن النظرية الماركسـية تقـوم بـذلك بشكل دقيق، وتضع قهر النساء فى سياقه التاريخي، وتفسـر إستمرار وجود هذا القهر في ظل المسئولية الفردية للنسـاء عن إعادة أنتاج النوع، والتى بدورها تحكـم حيـاة النسـاء بأكملها. وكذلك تضع الماركسية الحل لهذه المشـكلة وهـو الاشتراكية التى سوف تكون البداية لتحطيم الشروط الماديـة التى تسبب إضطهاد النساء، والأفكار التى تظهر بناء علـى هذه الشروط –تلك الأفكار التى نعرفها جيدا حول أن وجـود الأسرة واضطلاعها برعاية الأطفـال هـى مـن المسـائل الطبيعية، وأن بقاء المرأة فى المنزل هو أمر طبيعى. ويمكن للنظرية الماركسية أن تقوم بذلك عبر نقل مسئولية العنايـة بالأطفال من الفرد إلى الجتمع ككل. ويمكن لـذلك ان يفـتح المجال أمام عالم جديـد لملايـين النسـاء والسـماح لهـن بالتصرف كأنداد فى مجتمع جديد.

خاتمة

لا تعد النظريات البطريركية فى الواقع نظريات لتحريـر المرأة، حيث أنها تبدأ بتفسير أوضاع الرجال والنساء بنـاء على إعتبارات بيولوجية فجة، بدلا من الإنطلاق من تقـدير الوضع المادي للمرأة في المجتمع الرأسمالي. كما لا تشـير هذه النظريات إلى طريق للامام لتحرير النساء.

فلماذا اذن أصبحت هذه النظريات تحظى بشعبية كبيرة؟

يجب البحث هنا بشكل شديد الإيجاز فى كيفيـة تطـور حركة المراة منذ أواخر الستينيات.

نشأت الحركة النسائية فى نهاية الستينيات كنتـاج لتغيـر دور المرأة فى المجتمع. فقد كان دخول النساء إلى قوة العمل وتزايد سيطرتهن على عملية الإنجاب يعنى أنه أصبح لديهن أفكارا جديدة حول الدور المناط بهـن ومسـتقبلهن المهنـى وتطلعاتهن. وأدى التوسع الكبير فى التعليم العالي إلى تغذية وتطوير مثل هذه الافكار. ورغم ان التعليم العالي شهد تمييزا ضد النساء فى العديد من المجالات، إلا انه كـان يعنـى أن النساء أصبحن للمرة الأولى قادرات علـى إحتـراف مهـن

مرتفعة الأجر نسبيا، وذات أجر متساوى مع الأجـر الـذي يحصل عليه الرجل، ولو من الناحية الرسـمية . وبالنسـبة لغالبية النساء كان ذلك يمثل تطورا هـائلا مقارنـة بحيـاة أمهاتهن وجداتهن.

غير ان الافكار القديمة حول النساء ظلت متـأخرة عـن مجاراة الواقع. وفى الحقيقة فإن الأفكار الخاصـة بـالجنس والسلوك الجنسى تغيرت، لكن النظرة القديمة للمـرأة كـأم وزوجة ظلت ثابتة. إن كافة أنـواع التشـوهات القانونيـة السائدة، كانت تعنى أن النساء كن يعاملن عادة بشكل أفضل قليلا من الاطفال حينما يتعلق الأمر ببيع أو تأجير أو شـراء السلع أو القيام بعمليات الرهن. وكذلك لازالـت الإعلانـات ترسم صورة نموذجية للمرأة داخل المنزل –لا توجد صـلة كبيرة بينها وبين الواقع.

وكان نتيجة للصراع بين الواقع الاقتصادي والاجتمـاعي الجديد للمرأة، وبين الأنماط القديمة أن ظهرت أفكار تحرير المرأة. فبشكل ما شعرت النساء بأنهن جيدين مـثلهم مثـل الرجال، لأنهم كن بالفعل يقمن بأعمال تفوق تلك التى يقـوم بها معظم الرجال، إضافة إلى الأعباء المنزلية.

وكان هناك شعور خلال السنوات الأولى من عمر حركة المرأة بأنه يمكن تغيير كل شئ، بل الأكثر من ذلك أن هـذا التغيير كان يجري بالفعل. إن أحداث عام ١٩٦٨ (هـامش: هو عام تصاعد الحركة العمالية واليسارية وما ارتبط بهمـا من أفكار تحررية) أنتجت فئة واسعة مجذرة ومنفتحة تجـاة أفكار الحركة النسائية. إن العديد من الأفكار التى طورتهـا نساء من داخل حركة المـرأة –وغـالبيتهن السـاحقة مـن المهنيات المتعلمات— ضربت على بعض الأوتار لدى نساء الطبقة العاملة. ورغم صعوبة قياس التغير فى الوعى، لكـن نظرة سريعة على التوزيع الكبير لمجـلات المـرأة خـلال الخمسة عشر سنة الماضية سوف تبين الدرجة التى تم بهـا تناول شئون الجنس والبطالة والعديد من القضايا الاجتماعية الأخرى جنبا إلى جنب مع التقارير المعتـادة حـول نجـوم السينما والعائلة المالكة. وكان هناك دوما هوة واسـعة بـين الحركة النسائية ونساء الطبقة العاملة، وكان الاتصال بينهما ضعيفا، لكن على الأقل تحدثت الحركة النسائية عن التنظـيم داخل صفوف الطبقة العاملة.

إلا أن الأمر اليوم قد اصبح جد مختلف. فقد أدى انخفاض حدة الصراعات الاقتصادية العامة خـلال الخمسـة أعـوام الماضية، والإفتقار إلى الثقة السياسية لدى الطبقـة العاملـة، إلى حالة واسعة النطاق من الإحباط لدى قطاعات من اللاتي تم تجذيرهن فى الستينيات و بداية السـبعينيات. ويبـدو أن الحركة النسائية قد عانت أيما معاناة من هذا الوضع. فـالآن لم تعد صفحات مجلة Spare Rib هى المكان الذى ستعرف من خلاله عن آخر الإضرابات التى شاركت فيهـا النسـاء، وإنما المكان الذي يناقش مشكلات الجنس والعزوبية. كما ان المجلات الخاصة بالحركة النسائية قد تجاهلت بدرجة كبيرة نضالات العمال مثل إحتلال ٢٠٠ إمراة لمصانع لي جينز.

إن الشعور بعدم إمكانية القيام بأى شئ لتغييـر الواقـع، يجعل من إنتقاء الأفكار الشئ الوحيد المتاح، وهو ما يتبعـه إستبدال المقولات بشأن تغيير المجتمع، بأكلمه بنصائح حول تغيير أسلوب الحياة الخاص بالبعض منا. وبدلا من الفعل فان الحركة النسائية تواجهنا بنزعة أخلاقية مجردة تطالب العـدد القليل من الرجال والنساء الذين يقبلون بأفكار تحرير المرأة، بأن "يطهروا" أنفسهم من "الانحرافات" وذلك كبديل عن تغيير

المجتمع. أن المنطق المتبع هنا هو أنه اذا إســتطعنا تغييــر سلوك الرجال فإنه يمكن تغيير المجتمع – كما لو أن الرجل هو المشكلة وليس الرأسمالية. إن النظرية البطريركيــة قــد تطورت إنطلاقا من هذة الافكار وهى بدورها تقوم بدعم هذه الأفكار.

وكما أوضحت سابقا، فإن النظرية البطريركيــة لا تــدلنا بأية حال على كيفية تحرير أنفسنا، ولكنها تطالب القليلين منا بإجراء تصحيحات نظرية بينما تقبل سلبية الكثيرين. وتقــوم بعض النساء اليوم بمد النظرية الى نهايتهــا وتــدعون إلــى وجود نمطين للحياة منفصلين فى داخل النظام الرأســمالى – منازل مختلفة ومدارس منفصلة للجنسين وحيــاة إجتماعيــة منفصلة لهما. ولاتفشل مثل هذه الحلول فى رؤية الصلة بين الوضع المادى والوعى، وكيف يتغير الوعى فحسب، ولكنها أيضا حلول نخبوية بشكل عميق. فهى تفترض وجود مستوى معين للدخل، بما يعنى مستوى معين للسكن وحرية إختيــار مكان المعيشة ومدارس الأطفال إلى آخره.

ولا يكون مثل هذا الاختيار متاحا بالنسبة لغالبية النســاء. وعندما تتحدث هارتمان عن تساو نسب الطلاق بين الطبقات

فإنها لا تأخذ في الاعتبار مدى بؤس الحياة التى كانت تعيشها الأجيال من نساء ورجال الطبقة العاملة، والـذين لـم يكـن بمقدورهم الحصول على الطلاق. والان حيث أصـبح مـن السهل نسبيا الحصول على الطلاق، فلا بد أن هنـاك آلاف الزيجات التى تستمر نتيجة لعوائق مادية مثل عدم إمكانيـة إيجاد مكانين للسكن وعدم توفر لوازم المعيشـة الرخيصـة للأفراد. وتكون مثل هذه الحلول طوباوية بالنسبة لجمـاهير الطبقةالعاملة ومما يدفع الى قبول الواقع كما هو.

لايجب علينا رفض النظرية اليطريركية وكل ما يـرتبط بها من طروحات مثالية فحسب، لكن يجب علينا أيضـا أن نؤكد أننا كماركسيين لدينا نظرية لتحرير المرأة قابلة للتحقق ويمكن أن تؤدى إلى تحرير البشرية جمعاء من الاسـتغلال الرأسمالي والاغتراب. ولكي نقوم بذلك فإن علينا أن نرفض المفهوم المتضمن فى نظرية البطريركية، المفهوم القائم على التحليل الذى تصفه جوان سميث بأنه يصور "المراة بجانـب المدفأة والرجل فى ساحة المعركة". لم تكن هذه الصورة أبدا حقيقية بالنسبة لكافة قطاعات الطبقة العاملة بل أنها فى الواقع تتعلق بشكل أكبر بنمـوذج عـائلات "المصـرفى والمـدير

المتوسط ورجل الصناعة والكتبة والعمـال المهـرة الـذين يعملون لدى هؤلاء أكثر مما تعبر عن عائلة العامل الموسمى وعامل الصيانة والعامل الوافد"(٢٧)

وإذا كانت وجهة النظر البطريركية تلك غير صـحيحة بالنسبة لوضع المرأة في الماضي، فقد أصبح من الواضـح اليوم أنها تمثل رؤية عبثية للمرأة. فالنموذج السائد للمـرأة اليوم هو تلك التى تعمل بأجر خلال الفترة الأكبر من حياتها كبالغة. ومن النمطى أيضا انها تترك العمل لفتـرة إلـى أن يدخل الأبناء المدرسة ثم تعود الى العمل المنـتظم. بـل أن ٢٠% من النساء اللاتى لديهن أطفال تحت سـن الخامسـة يعملن لجزء من الوقت. إن نموذج المرأة التى تكـرس كـل وقتها للمنزل هو خرافة، حيث أن النساء تمـثلن ٤٠% مـن قوة العمل، كما ان معدل دخول المرأة الى العمل أعلى منـه بالنسبة للرجل.

إن تلك الخرافة تحقق لرأس المال عددا من الفوائد، حيث تمكنه من أن يفرض على النسـاء أجـور إقـل وأوضـاع وساعات عمل أسوأ. كما تجعل هذه الخرافة النساء يشـعرن بأن الوظيفة ليست المهمة الحقيقية بالنسبة لهـن، وهـو مـا

يجعلهن أقل ميلا للعمل المنتظم وأكثر ميلا للإذعـان لحالـة البطالة. وهذه الخرافة أيضا تزيد من العبء المزدوج للعمل المأجور والمنزلى الواقع على عاتق النساء. لكنها مع ذلـك تظل خرافة.

وعندما نرى النساء كعاملات لا كربات بيوت منعزلات، فإن رد الفعل لدينا يكون مختلفا. فآنـذاك سـوف نعتقـد أن النساء بإعتبارهن جزءا من الطبقة المنتظمـة فـى أمـاكن العمل، تكون لديهن القدرة على بناء التماسك والثقـة لأجـل تحدي الرأسمالية والإطاحة بها أخيرا. يجب أن يكون ذلـك هو هدفنا. وعندما نكون بصدد عملية بناء حزب ثورى يمكن أن يقود إلى الإطاحة بالرأسمالية، يجب أن تكون لدينا صورة عن الطبقة العاملة التى تشمل النساء كجزء لا يتجزء من قوة العمل. غير انه عادة ما يقال ان ذلك لا يحل مشكلة التحيـز الجنسى للرجال حتى فى داخل الحزب وحتى بعد الثورة. لا يمكن لأحد ان ينكر ان ذلك حقيقي، الا ان الحل الذى نقدمـه لهذه المشكلة يتوقف على ما اذا كنا نرى محاربـة التحيـز الجنسى كشئ منفصل عن الصراع الطبقـى أو كجـزء لا يتجزأ منه. اذا اخترنا الاجابـة الثانيـة فيجـب الا تكـون

استراتيجيتنا هى وجود حركة مستقلة للمرأة منفصـلة عـن الحزب. بل يجب ان نجعل الحـزب والثـورة الاشـتراكية معبران عن تطلعات ومطالب المرأة كجـزء مـن مطالـب الطبقة العاملة. ويعنى ذلك الاعتراف بحقيقة قهـر المـرأة، والتى تجعل من الأصعب على النساء الانخراط فـى كافـة مستويات الحياة السياسية، والتى تضع على عاتقهن العـبء المزدوج المتعلق بالمهام المنزلية ورعاية الأطفال إضـافة إلى العمل المأجور.

وخلال محاولاتنا التغلب على هذه العقبات التـى تعـانى منها كافة النساء، فإننا نحتاج إلى آليات خاصـة كصـحيفة للمرأة، وإجتماعات للنساء، والى جعل عضـوات الحـزب يأخذن دورا نشيطا وقياديا فى كافة نواحى العمل. إن كل هذه الآليات تدرك المشكلات الحقيقية التـى تواجههـا النسـاء، وتحاول التغلب عليها بطريقة مادية لا بتقديم النصح. وانـه لمن الواضـح أن تقـديم التنـازلات لأى مـن النظريـات البطريركية، أو لفكرة أن الرجال هم الأعداء، لا يعـد فقـط غير قابل للتطبيق ولكنه يحدد المشكلة بطريقة خاطئة، ويشير إلى المظهرلا إلى جذورة. إن الثورة الاشتراكية والـتخلص من المجتمع الطبقي وحدهما يقدمان لنا إجابة علـى كيفيـة الفوز بحريتنا.

Notes

1- Juliet Mitchell, Psychoanalysis and Feminism, London 1975.

2- Sally Alexander and Barbara Taylor, 'In Defence of Patriarchy', New Statesman, January 1980.

3- German Ideology, Moscow 1964, p.35.

4- Roberta Hamilton, The Liberation of Women, London 1978, p11.

5- Christine Delphy, The main Enemy, WRRC, 1977.

6-Heidi Hartmann, 'The Unhappy Marriage of Marxism and Feminism' , Capital and Class, no 8, Summer 1979.

7-Ibid.

8- Marx, Capital, vol 1, London 1976, p 517.

9- Engels, The Conditions of the Working Class in England, Moscow 1973; Marx, Capital, vol 1, London 1976 p 521.

10- Hartmann, op.cit.

11- Ibid.

12- Ibid.

13- Ruth Milkman, 'Women's Work and Economic Crisis: some lessons of the great depression', Preview of Radical Political Economy, 1976.

14- Helen bark in Bessel and Feuchtwanger Social Change and Political development in Weimar Germany, London 1981, pp 162-3.

15- Hartmann, op.cit.

16- Engels, The Origin of the Family, Moscow nd.

17- Hartmann, *op.cit.*

18- Engels, op.cit.

هذه النقطة تجاهلتها هارتمان كما تجاهلتها جوان سـميث أثناءمحاولتها لتطوير تحليل حول النمطين

19- Sheila Rowbotham, Woman's Consciousness, Man's World, London 1973.

20- Hartmann, *op.cit.*

٢١- الاطروحات التي اقـدمها تـدين للمقـال الممتـاز لجوهانـا برينـر Women Self-Organization, A Marxist Justification, Against the Current, New York, Fall 1980.

22 –Marx, Capital, vol 1, London 1976; Engels, Conditions of the Working Class, op.cit.

٢٣- تطرح هارتمان مسالة تزايد معدلات الطلاق من زاوية تساوي هذه المعدلات بين الطبقات. لكنها لا توضح لماذا حدثـذلك فـي الوقـت الحالي. لأنه للمرة الأولـى اصـبحت نسـاء الطبقة العاملة لديهن الفرصة للقيام ما كانـت تتمتع ببه نساء الطبقة العليا طول الوقت، وهو

ما يرجع إلى الاستقلال الاقتصادي النسبيالذي يتمتعن به، رغم كل البؤس الذي يعانين منه.

٢٤- أنظر إلى المناقشات التي تناولتهـا انترناشـيونال سوشياليزم في اعداد ١٠٠ و١٠٤، بين جوان سميث وأيرين بروجيل.

25 – Irene Bruegel, ‘What Keeps the Family Going?’ IS (new series)3.

26- Joan Smith, ‘Women’s Oppression and Male Alienation’ IS (new series) 3.

27- *Ibid.*